

تفسير البحر المحيط

@ 204 @ .

ولما كان من يرد الماء لا يرد إلا لعطش ، أطلق الورد على العطاش تسمية للشيء بسببه .
وقرأ الحسن والجحدري يحشر المتقون ويساق المجرمون مبنياً للمفعول ، والضمير في { لاَّ -
يَمْلِكُونَ } عائد على الخلق الدال عليهم ذكر المتقين والمجرمين إذ هم قسماه ،
والاستثناء متصل و { مِنْ } بدل من ذلك الضمير أو نصب على الاستثناء { وَلاَّ يَمْلِكُونَ }
{ استئناف إخبار . وقيل : موضه نصب على الحال من الضمير في { لاَّ - يَمْلِكُونَ } ويكون
عائداً على المجرمين . والمعنى غير مالكين أن يشفع لهم ، ويكون على هذا الاستثناء
منقطعاً . وقيل : الضمير في { لاَّ - يَمْلِكُونَ } عائد على المتقين والمجرمين ،
والاستثناء متصل . وقيل : عائد على المتقين ، واتخاذ العهد هو العمل الصالح الذي يحصل
به في حيز من يشفع . وتضافرت الأحاديث على أن أهل العلم والصلاح يشفعون فيشفعون . وفي
الحديث : (إن في أمتي رجلاً يدخل □ بشفاعته أكثر من بني تميم) . وقال قتادة : كنا
نحدث أن الشهيد يشفع في سبعين . وقال بعض من جعل الضمير للمتقين : المعنى لا يملك
المتقون { الشِّفَاعَةَ } إلا لهذا الصنف ، فعلى هذا يكون من اتخذ المشفوع فيهم ، وعلى
التأويل الأول يكون من اتخذ الشافعين فالتقدير على التقدير الثاني { لاَّ - يَمْلِكُونَ }
الشِّفَاعَةَ * لاَّ حَدِي * إِلاَّ مَن اتَّخَذَ { فيكون في موضع نصب كما قال : .
فلم ينج إلا جفن سيف ومئزرا . .
أي لم ينج شيء إلا جفن سيف . وعلى هذه الأقوال الواو ضمير . وقال الزمخشري : ويجوز أن
تكون يعني الواو في { لاَّ - يَمْلِكُونَ } علامة للجمع كالتي في أكلوني البراغيث ،
والفاعل من { اتَّخَذَ } لأنه في معنى الجمع انتهى . ولا ينبغي حمل القرآن على هذه اللغة
القليلة مع وضوح جعل الواو ضميراً . وذكر الأستاذ أبو الحسن بن عصفور أنها لغة ضعيفة .
وأيضاً قالوا : والألف والنون التي تكون علامات لا ضمائر لا يحفظ ما يجيء بعدها فاعلاً إلا
بصريح الجمع وصريح التثنية أو العطف ، إما أن تأتي بلفظ مفرد يطلق على جمع أو على مثنى
فيحتاج في إثبات ذلك إلى نقل ، وأما عود الضمائر مثناة ومجموعة على مفرد في اللفظ يراد
به المثنى ، والمجموع فمسموع معروف في لسان العرب على أنه يمكن قياس هذه العلامات على
تلك الضمائر ، ولكن الأحفظ أن لا يقال ذلك إلا بسمع . وقال الزمخشري : ويجوز أن ينتصب
يعني من على تقدير حذف المضاف أي إلا شفاعته من { اتَّخَذَ } . .
والعهد هنا . قال ابن عباس : لا إله إلا □ محمد رسول □ . وفي الحديث من قال : (لا

إله إلاّ محمد رسول الله كان له عند الله عهد) . وقال السدي : العهد الطاعة . وقال ابن جريج : العمل الصالح . وقال الليث : حفظ كتاب الله . وقيل : عهد الله إذنه لمن شاء في الشفاعة من عهد الأمير إلى فلان بكذا ، أي أمره به أي لا يشفع إلاّ الأمور بالشفاعة المأذون له فيها . ويؤيده { وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ } { يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ } . { لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مَن بَعَدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى } . وقال ابن عطية : ويحتمل أن يكون المجرمون يعم الكفرة والعصاة ثم أخبر أنهم { لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ } إلاّ العصاة المؤمنون فإنهم سيشفع فيهم ،